

## مقدمة

هناك أقوال عدة مثيرة عن تنشئة الأطفال، ولكن أكثر ما أثارني فيها هو كلمات جون ويلموت (John Wilmot<sup>(1)</sup>) التي قالها في القرن السابع عشر: «قبل أن أتزوج، كانت لديّ ستّ نظريّات عن تنشئة الأطفال، أما الآن فلديّ ستة أطفال، وليس عندي أيّ نظرية». في الواقع، إنّ ما قاله يحمل كثيرًا من الصّدق؛ لأنه لا يوجد أيّ شيء يجعلنا أقلّ حكمة أكثر من تحمّل مسؤولية تربية الأطفال يوميًا، ولقد كتبت هذا الكتاب الذي بين يديك، وهذه الكلمات تتردّد في ذهني، لذا فلن أقدم لك أيّ نظريّة، بل سأعرض تطبيقات عملية اكتسبتها من خبراتي مع أطفالتي، وتواصلتي مع الآلاف من أولياء الأمور الماهرين، ومن وجودي كذلك بين الأطفال طوال حياتي، إضافة إلى حبي الكبير لهم.

قبل سنوات عدة، كنت أستاذًا في جامعة سانت جون في مدينة نيويورك، وكان عمر ابنتي ثلاث سنوات، كان أصدقاءها يقرعون الباب، ويقولون لزوجتي بأدب: هل يمكن أن تخرج (وين) وتلعب معنا، إذا سمحتِ؟ يومئذٍ، كنت في الثلاثين من عمري، أدرّس في الكلية، وأمثّل دور حصان، وأطارد الأطفال الصغار حول مبنى السكن، وفي الحفلات، عندما كان البالغون يتجمعون في غرفة تعبق بالدخان، كنت أشارك الأطفال ألعابهم غالبًا. وقد رزقني الله أحفادًا وورثاء، وأقول بصدق: إنني كنت أفضل صحبة الأطفال على صحبة الكبار دائمًا، وإنني أحبُّ أن أصارع الأطفال من مختلف الأعمار، وأمازحهم، وأرافقهم، وألعبهم.

وفي أحد أسفاري في أوروبا، لعبت كرة القدم مع أطفال من غير الناطقين بالإنجليزية في إحدى قرى جبال سويسرا، ويومئذٍ قضيت ساعات عدة مرهقة في صحبة عشرين طفلًا يافعًا، ومع أننا لم نستطع التواصل بالكلمات، لكننا تقاسمنا الحبّ والاحترام والمتعة، بحيث تجاوزنا

(1) جون ويلموت (1647 - 1680)، حامل لقب إيرل مدينة روشستر في مقاطعة (كنت) البريطانية. كان شاعرًا وكاتبًا

الحاجة إلى التّواصل اللفظي. إن الضحك، والتّصميم، والإثارة العجيبة تجاه الحياة سمة جامعة يشترك فيها الأطفال الأبرياء.

وفي محطات القطارات المزدهمة في اليابان وهونغ كونغ، لعبت مع أطفال شرقيين، وجعلتهم يضحكون، ويصرخون بسعادة من لعبة المصارعة بالأصابع، أو من الذي يمكن أن يعمل أكثر وجه مضحك. وأمّا في ألمانيا، فقد درّبت أطفال حيّ كامل على كيفية التقاط الصّحن الطّائر، ثمّ حذفه، وهم يترაკضون ويتضاحكون، ولهذا فإذا كنت تحبّ الأطفال، فإنّ اللّغة التي يتحدثون بها ليست ذات بال؛ لأنّ لغة الحبّ قوية لدرجة تصبح معها الكلمات غير ضرورية. وفي أثناء إعدادي لهذا الكتاب، تملكنتني كلمات كارل جونج Carl Jung<sup>(1)</sup>: كان لديّ شعور بالمصير منذ البداية، كما لو أنّ القدر هو الذي حدّد لي حياتي، وعليّ إكمالها. لقد منحني ذلك إحساساً بالأمان الدّاخلي، ومع أنني لم أستطع إطلاقاً أن أثبت ذلك لنفسي، فإنّ الأمان هو الذي أثبت نفسه لي، لم أكن أملك ذلك اليقين، وإنما هو الذي تملكني.

لقد استحوذ عليّ حبي الشديد للأطفال الصّغار طوال حياتي، فقررت أن أكتب عن علاقة الحبّ الرّائعة مع أطفال العالم.

لقد ظلّت كتبي جميعها جزءاً من هذا المصير المشترك الذي أشرت إليه في الفقرة الماضية، وحاولت في كتاب (مواطن الخطأ لديك *Your Erroneous Zones*) أن أعلم كلّ إنسان المنطق العام للتحكم في عواطفه، في حين كان كتاب (اجمع خيوطك معاً *Pulling Your Own Strings*) متابعة طبيعية لكيفية التعامل الفاعل مع الآخرين الذين قد يحاولون جعلك ضحية بأيّ طريقة كانت، وأمّا كتاب (السّماء هي السّقف *The Sky Is the limit*) فهو امتداد لهذه المبادئ؛ فقد عرض الكتاب أفكاراً أبعد من مجرد تحكّم الفرد في عواطفه، والتّعامل مع الآخرين بطريقة مغيّرة، والعيش بأفضل طريقة ممكنة بناء على قدرة الإنسان على اختيار المجد الخاص به. أما في كتاب (هدايا من كوكب إيكيز *Gifts from Eykis*) فقد كتبت حكاية رمزية من زماننا الحاضر، وهي قصة امرأة من عالم آخر تعلّمتنا الحكمة والحقائق المجردة؛ لنطبقها على حياتنا الخاصة، ولنحافظ على سلامة كوكب الأرض. ولم يكن أمامي ملجأ سوى كتابة (ما الذي تتمناه لأطفالك فعلاً؟ *What Do you Really Want for your Children?*). يعرض هذا الكتاب الطّريقة العقلانيّة

(1) كارل جونج (1875 – 1996 Carl Jung)، عالم في علم النفس، سويسريّ، مؤسس علم النفس التّحليليّ، واختلف مع

فرويد في تفسير السّلوک الإنسانيّ، وهو حاصل على شهادات تكريم من جامعات عدة في العالم – المترجم.

للتعامل مع أهم واجب يواجهنا، وهو تنشئة أطفالنا بطريقة تجعلنا نترك عالمنا في أيدي أناس لا يقدرّون على إدارته وإدارة أنفسهم بفاعلية فحسب، وإنما يستطيعون أيضاً أن يجعلوا هذا العالم، في نهاية المطاف، مكاناً للسلام والحبّ الأبديّين.

وفي أثناء تألّفي هذا الكتاب، حرصت على أن يكون مفيداً وعملياً، لا نظرياً فحسب، وما أريده منك هو أن تطبّق ما تقرّؤه في هذه الصفحات. وبصفتي أحد المرشدين المحترفين، فقد عرفت دائماً المعادلة الصحيحة التي يحتاج إليها الناس ليتغيروا؛ وتتمثّل هذه المعادلة أولاً، في جعل الناس يحدّدون الشّيء الذي يقومون به، والذي يمكن أن نسميه سلوك هدم الذات Self – defeating. أي تحديد السلوكات التي لا تناسبهم، ومن ثمّ أحاول أن أجعلهم يرون العواقب، أو الفوائد العصائبة للسلوكات المدمّرة للذات، وأخيراً، محاولة التّوصل إلى سلوكات جديدة، ذكية وعملية، وقابلة للتطبيق؛ لمساعدتهم على التغيّر. وباختصار، هذا هو جوهر الإرشاد الفاعل، وهو ما استخدمته في تأليف هذا الكتاب، لذا عليك أولاً تحديد ما ستقوم به في جانب معيّن من تنشئة الطّفل، ثم معرفة الفوائد التي ستجنيها من مواصلة تنشئة طفلك بهذه الطّريقة، وأخيراً، فمعرفة كيفية استخدام أساليب جديدة قد تؤدّي إلى النتائج المرجّوة.

وفي الحقيقة، فإنّ هذا الكتاب ليس كتاباً معيارياً حول تنشئة الأطفال؛ لأنّ جميع المفاهيم والأفكار والاستراتيجيات والأساليب، أو كلّ ما قد يخطر في ذهنك أن تسميه، تنطبق على جميع الأعمار والحالات المرتبطة بالأطفال، وجميعها أمور متّفق عليها لمساعدة الأطفال على أن يكونوا مستقلّين ومبدعين. وسوف أقدم في صفحات هذا الكتاب جميعها جوانب مهارية محدّدة لحياة بلا حدود، وتقع هذه الجوانب تحديداً في مجال: ما شعورك؟ وسوف أركّز على المهارات التي سوف تتقدك أنت وأطفالك عندما تجدون أنفسكم في مشكلة ما. فإنّ لم تستطع أن تضبط غرفة الاحتراق (الكاربوريتور) في سيارتك، فإنك سوف تتفحصه على الأقل، أو تأخذه إلى خبير كاربوريترات، ولكن إذا وجدت نفسك عاجزاً بسبب فقدان سيطرتك على غضبك، أو لأنّ طفلك عصبيّ إلى حدّ بعيد، فليس هناك وصفة جاهزة، ولا دليل إرشادات للتحكم في الغضب، ولا توجد ورشة تصليح لإصلاح النّظام العصبيّ، ولهذا يجب أن تتبثّق الإجابات والحلول من داخلك ومن داخل طفلك أيضاً.

إنّ المفتاح المطلوب لتصبح إنساناً مبدعاً لا يرتبط كثيراً بامتلاك مجموعة من المهارات المعرفية، ولكنه يرتبط بمعرفة كيفية التحكم في عواطفك؛ فأنت وأطفالك تصبحون بالنسبة إلى حياتكم كالفنّان العظيم بالنسبة إلى لوحة فنيّة رائعة؛ يشكّها، ويظللّها، ويصمّمها، ويختار ألوانها.

لقد ألفت هذا الكتاب لمساعدتك على الحلّ الآن، ولن تجد تصنيفات صغيرة مرتبة لما يمكن أن تقوم به في كلّ مرحلة من مراحل التطور؛ لأنّ طفلك فريد الآن، لهذا فإنه يقاوم التّصنيف. وأريد مساعدتك على التحول من امتلاك حلول كثيرة جداً إلى حلول بلا حدود، وسواء كنت أباً أو جدّاً، أو معلّماً، أو جازراً، أو موظف رعاية، أو صديقاً، أو رجل دين، أو أيّ إنسان مهتم راغب في مساعدة الأطفال الصّغار، فإنني أريدك أن تتمكن من استخدام هذا الكتاب الآن؛ فقد كتبته على اعتقاد مني بأنك سوف تشتريه اليوم بصرف النظر عن كونك تنتظر طفلك الأول، أو كنت أباً لستة مراهقين، أو بين هذا وذاك، ولم يخطر ببالي أن أكتب كتاباً عن البداية منذ الصغر؛ لأنّ هذا اليوم هو اليوم الوحيد الذي تملكه، وأطفالك في العمر الذي هم فيه تماماً، وعليك أن تتعامل مع هذه الحقيقة. ولا أعتقد أنّ عليك البدء بطريقة معيّنة، وإذا لم تبدأ فسوف يكون الأوان قد فات، بعدما يكونون قد تخطّوا مرحلة نمو معيّنة، وما أعرفه أنّه من المستحيل أن يتغيّر الإنسان في لحظة محددة، بغض النظر عن ماضي أيّ واحد منا، وما أعتقده أيضاً أنّه باستطاعتك أن تبدأ فوراً الآن؛ وقد نجحت شخصياً في تغيير نماذج سلوكيات هدم الذات لديّ بطريقة بسيطة، وهي اتخاذ قرار للقيام بذلك، والتّحلي بالإرادة والتصميم لإنجاح هذا القرار. وعليه، فباستطاعتك أنت أيضاً تطبيق أيّ من المبادئ الواردة في هذا الكتاب، وتجعلها تنجح، إذا ما توافرت لديك الإرادة للعمل مع الأطفال بطريقة جديدة.

لقد كتبت أعمالاً كثيرة عن موضوع تربية أطفال الوالدين المنفصلين أو المطلقين، أو أطفال ما قبل سن المراهقة، والرّضاعة، وأنت وابنك المراهق، وتربية الأطفال في سنّ اليأس، وفي كلّ فئة جزئية يمكن أن تخطر في بالك؛ ذلك أنني فقد وضعت نصب عيني هدفاً وحيداً هو: كيف أساعدك – أيّاً كان وضعك الحالي – على التأثير في أطفالك بطريقة إبداعية إيجابية، وتشتّتهم ليكونوا كما تريد.

وقد اهتمت كثيراً بضرورة أن أكون دقيقاً، وأن أعطي أمثلة ملموسة، وكذلك أن أجعل هذا الكتاب عملياً وليس نظرياً، وسوف تجد بعض الصفحات مكرّرة في هذا الكتاب، والسبب في ذلك أنّ إحدى النقاط التي تتناول الإبداع في أحد الفصول، سوف ترد مرة أخرى عند الحديث عن الانضباط أو تشجيع صورة إيجابية للذات، وبدلاً من محاولة إخفائها، فقد لجأت إلى تكرار هذا المبدأ عن قصد كلّما استدعى الأمر ذلك.

ومن أجل التّوصّل إلى نتائج إيجابية مع الأطفال – أو مع أيّ شخص آخر – عليك أن تكرّر مرة تلو أخرى، ويجب أن تشدّد على شيء ما باستمرار إلى أن يصبح عادة إيجابية، وعندما تفكّر في الأمر، فسوف تجد أنّ هذه تماماً هي الطّريقة التي تعلمت فيها عادات هدم الذات، من خلال التّكرار

المتواصل، ولذلك فعندما ترى مثلاً أو مبدأً متكرراً في هذا الكتاب، فلا تظنّ أنّ الكاتب كرّر ذلك خطأ، وإنما ليذكرك في المكان الذي تقرأ فيه أنّ المبدأ نفسه الذي طُبّق في جزء سابق ينطبق هنا أيضاً، ولقد فعلت ذلك عن قصد؛ لتأكيد حاجة ضرورية، ولم أُغيّر أيّاً من التكرارات أو أحذفها؛ لأنّني أوّمن بها، وأُعرف أنّها ضرورية لمساعدتك على جعل هذه الأساليب مناسبة لك.

ومثلما لا يندرج الأطفال أبداً ضمن الفئات القليلة المرتّبة – وبحسب ما جعلك الذين كتبوا عن الأطفال في عمر السنتين، أو مرحلة ما قبل المراهقة أو المراهقة، تعتقد ذلك – فكذلك الحال مع مبادئ التنشئة، فإنها لا تدرج ضمن رزم ملفوفة بإحكام. ولا شكّ أنّ هناك تداخلاً كبيراً بين التّمنّيات التي استخدمتها لعنونة الفصول العشرة من هذا الكتاب، ولذلك فإنّني لا أدعي أنّ ما ذُكر في مكان ما من هذا الكتاب لن يتكرّر في مكان آخر، فكلّ ما في الأمر أنّ ذلك لا يحدث بتلك الطّريقة على أرض الواقع، كما لا يحدث بتلك الطّريقة عند الكتابة عن ذلك الواقع.

إنّ الكتاب الذي بين يديك قد تطوّر بالطّريقة ذاتها التي ينمو فيها الطّفل إلى مرحلة البلوغ، وقد كنت حذراً في الفصول الأولى على توجيهك عبر الصفحات، وأن أقودك خطوة إثر أخرى مستخدماً أمثلة علاجية عملية، وقد افترضت أنه يجب ألاّ تترك وحيداً، وأنك تحتاج إلى مراقبة دائمة، وكلما واصلت الكتابة، أصبح أسلوبِي ذاتياً؛ حيث أوردت تجارب شخصيّة، واستخلصت أمثلة ذاتية، منتقلاً من دراسات حالات سريرية إلى أوضاع إنسانية يومية. لقد أشركتك، عزيزي القارئ، في معتقداتي واستراتيجياتي، وأبقيت الأمر محدداً، ودون تشعب من خلال تقديم أفكارِي وتطبيقاتي لك بخصوص هذا الموضوع الكبير لتنشئة أطفال مبدعين بلا قيود. وقد طلبت إليك في مرحلة لاحقة أن تتوسع أكثر؛ عندما تناولت موضوعات الصّحة والعافية، أو الإبداع، أو الحاجات العليا وإدراك الهدف، كما لو كنت الآن في مرحلة متقدمة من تطورك الأبويّ.

لقد ذهبت إلى أبعد من مجرد طلب مساعدة طفلك، إلى مناقشتك لمساعدة الأطفال جميعهم في أيّ مكان، وأستطيع أن ألمس هذا التدرّج في الكتاب، فبدلاً من تحريره وتغييره، تركته كما كتبه: من الرّضاعة إلى سنوات المشي، وعبر مرحلة ما قبل البلوغ إلى سنوات المراهقة، وصولاً إلى مرحلة الرّشد، ومثلما يجتاز طفلك التّطور ذاته، سواء رغب في ذلك أم لم يرغب، فإنّني سلكت طريقي، وأنا أكتب عن هذا الموضوع الحيويّ، وسوف تلمس هذا التدرّج شخصياً في هذا الكتاب.

في السنوات الأخيرة، تلقيت آلاف الرسائل من أشخاص يهتمون بأطفالهم حقاً، وأودّ أن أشارك القارئ في رسائل ثلاث تلقيتها من أفراد طلبوا إليّ أن أذكر بعض النقاط المهمة عند تأليف هذا الكتاب.

رسالة بوني كيبن، من ولاية نيوجيرسي، التي كتبت تقول:

عزيزي الدكتور داير

عندما قرأت كتابك (مواطن الخطأ لديك) تأكدت تماماً مما أريد فعله؛ إنّ ما أرغب في فعله هو أن أرى أطفالي الثلاثة الصغار؛ ذوي السنوات الست والسبع والثماني، يتعلمون دون غسيل الدماغ الذي استخدمته شخصياً، واستخدمته كذلك المدارس المختلفة لهدف واحد، وهو تحطيم ابني الذي يبلغ من العمر 14 عاماً. إنّ الطفلة الوسطى التي عمرها 8 سنوات تسير في الاتجاه ذاته. لقد كنت أراقب أطفالي وهم يكبرون؛ إنهم أذكيا ومتحمسون، ويحبون مرحلة الروضة، وما قبل المدرسة خبرة ممتعة، إلى أن حُشروا ضمن مسيرة الانصياع. لقد أصبحت مشبعة بالتلقين، ومغسولة الدماغ، لدرجة أنّ معلمتها تصفها بأنها طفلة طيبة، ولها تأثير كبير في طلبة الصفّ.

شيء مرعب؛ لقد قاوم ابني ذو السنوات السبع في الصفّ الأوّل، وقد وُصف هذا الطفل الموهوب، المحبب داخلياً بأنه مضطرب ومضرب المثل. أما أصغرهم، فإنّها تتعرض للنقد باستمرار؛ لأنها مزعجة بسبب محاولتها القيام بأشياء ليست جزءاً من الدرس اليوميّ، أو لا علاقة لها بما يودّ إنجازها في الروضة، ولقد كانت الأكثر مقاومة وعناداً بخصوص آرائها، إلا أنّ معلمتها لم تتقبل ذلك عندما قلت لها إنه من الممكن أن يكون لدى الطفلة رأي خاصّ بها، وكان ردّها: عمر أطفال الروضة صغير جداً، لدرجة لا تمكّنهم من تكوين آراء خاصة بهم تجاه شيء ما، وحتى لو حدث ذلك، فلا جدوى من ذلك؛ لأنّ النظام المدرسيّ يعرف الطريقة المثلى لتنظيم تعليمها.

فهل تعرف أيّ مكان يمكن أن يتعلم فيه أطفالي بعيداً عن هذا الهراء؟ هل يمكن أن توجد مدرسة تجريبية في مكان ما تسمح بالحرية وأساليب حبّ الذات التي تتبناها مع دمجها بالأهداف الأكاديمية السليمة؛ من أجل تطوير الطلاب المتكيفين جيداً، وليس المتعلمين فحسب؟

كان قلق بوني الذي ينطلق من كونها أمّاً، ومن تصميمها الحقيقي على حماية أطفالها من غسيل الدماغ، والتحوّل إلى نسخة مطابقة، إلهاً حقيقياً لي في تأليف هذا الكتاب.

وبعد أشهر عدة، تحدثت إلى مجموعة من المعلمين في منطقة لونغ آيلاند، شمال غرب ولاية نيويورك، بصفتي المتحدث الرئيس في برنامج اليوم الافتتاحي، وبعد ذلك بمدة، تلقيت رسالة من المعلمة مارلين كيارامونتي، جاء فيها: أرجو أن تركّز كثيرًا في كتاب التنشئة في أهمية حبّ الطفل لذاته، وليس لما نتوقع منه أن يكون.

شخصيًّا، أشاهد في كلِّ فصل دراسيٍّ كثيرًا من الأنفس المحطمة والمرعوبة والمنعزلة في غرف الصفوف، لذا فإنني أقضي معظم الفصل الدراسي للتعبير عن حبي لهؤلاء الأطفال وتقبّلهم، وهم في معظمهم مخلوقات بشرية رائعة بحق، ولكنهم لا يصدّقون؛ لأنّ أحدًا لم يخبرهم بذلك من قبل. إنّ بإمكانك اختراق أيّ ذات متعالية بكلمات قليلة مختارة جيدًا، ولكن قد يستغرق الأمر عمراً كاملاً لرفع معنويات نفس محطمة من قبل الآباء ذوي النية الحسنة الذين لا يريدون تدليل الطفل.

وما أتمناه أن يكون العرض الذي قدمته قد أثر في كثير من المعلمين الذين يتسوا من التعليم، وربما من الحياة أيضًا، ولا أجد طريقة أفضل من هذه لبدء العام الدراسي. أنتظر اليوم الذي ينشر فيه كتابكم، ومن المحتمل أنني سوف أستعمله في صفوف تعليم الوالدين مهارات حسن تربية أطفالهم.

ظلت كلمات مارلين في بالي وأنا أعد هذا الكتاب؛ لأنني أشاركها القلق الوارد في رسالتها. ثم حدث وأنا أضع اللمسات الأخيرة على الكتاب أن تلقيت رسالة من امرأة تُدعى (كلوي روبنسون) اعتادت أن تكتب لي في الماضي بعدما استمعت إلى محاضراتي قبل أشهر عدة، وأرسلت إليّ هذه المرة الرسالة التي أرسلتها أيضًا إلى أطفالها وأحفادها.

وقد أوردتها هنا بنصّها الكامل؛ لأنني أعتقد أنها تبعث رسالة قوية لكلِّ واحد من الذين يهتمون بالأطفال، وتساعد على الإجابة عن السؤال الذي يحمله عنوان هذا الكتاب: ما الذي تتمناه لأطفالك فعلاً؟

إلى أطفالتي وأحفادي

مع اقتراب العام من نهايته، أودّ أن أقول لكلِّ واحد منكم: إنني أحبه كثيرًا، وإنه مميّز عندي.

في هذا الوجود الذي نسميه الحياة، تعلمت شيئين: الأوّل هو أنّ كلِّ واحد منا فريد ومميز في هذا الكون، والآخر أنّ الحبّ أقوى جهاز نملكه في حياتنا. إنّ مساهمتنا في هذا الكوكب يجب أن

تكون في سعينا ليصبح كل واحد فينا إنساناً، وأن نعطي كل فرد آخر هذا الحق، وإذا ما عملنا ذلك من خلال الحب والاهتمام، وعدم إصدار الأحكام المسبقة على الآخرين، فإننا عندما نغادر هذا المكان، كما هو محتم على كل واحد منا، فسوف يكون مكاناً أفضل؛ لأننا كنا فيه في يوم من الأيام.

يجب أن تكون مهمتنا في الحياة أن نكون سعداء وإيجابيين إلى أقصى حد ممكن، فلقد أعطانا الله هذا الحق، وما لم نكن سعداء مع أنفسنا، ونحب أنفسنا بصفتنا أفراداً فريدين ومتميزين كما نحن كذلك، فلن نستطيع أن نمنح من ذواتنا شيئاً للآخرين، وأن نجعل من الكرة الأرضية مكاناً جميلاً ومحبباً وهادئاً كما نتمنى أن يكون.

إن حب الذات لا يعد أنانية، إنه أفضل طريق كاملة وإيجابية تستطيع بها أن تشكر الله تعالى لمنحك نعمة الحياة. من ثم فإذا كنت تحب نفسك، وتعرف أنك كامل، فسوف تستطيع أن تبعث هذه الرسالة إلى الآخرين، وأن تعزز في نفوسهم الشعور بأنهم كاملون أيضاً، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن لأحدنا أن يحقق بها الشيء المميز الذي نسميه السعادة.

إن السعادة بذاتها لا وجود لها؛ إنها سراب، ولا يمكن العثور عليها إلا إذا كنا سعداء في داخلنا، وإذا ما طفت هذا العالم وأنت تبحث عنها على مدى سني حياتك، فلن تجدها؛ لن تجدها في الأشياء المادية، ولا في الإثارة، ولا في الأشخاص الآخرين، ولا في تمنيتها أو شرائها، ولا من أي وسيلة أخرى؛ إنها أمر ذاتي ينبع من الداخل. ولكن الشيء الرائع هو أنها متاحة لكل إنسان، وأن الواحد منا مهما كان، ومهما كانت ظروفه، فإن عليه إدراك أنها هبة له، وأنه يستحقها، ولا وجود لقيود عليها، فلا تعتمد على شخص آخر ليمنحك السعادة؛ لأن ذلك سيكون عبئاً ثقيلاً على كل منكما، وعندما تكون سعيداً في داخلك حقيقة، وعندما تعطي الحق ذاته لشخص آخر، فهذا يجلب السعادة لكليكما تلقائياً دون بذل جهد يُذكر، وهذه مكافأة إضافية؛ لأننا لم نكن نتوقعها أو ننتظرها؛ إنها تحدث من تلقاء ذاتها.

يجب أن تكون مسؤوليتنا تجاه العالم، وتجاه أنفسنا، والآخرين إيجابية إلى أبعد حد ممكن، وهذا لا يعني أن نكون غير واقعيين، بل يعني فقط أنه بصرف النظر عن الظروف، وكيفية تأثيرها فينا، فإننا نحافظ على هدوئنا الداخلي، وعلى قناعتنا الراسخة بتفردنا، وأنه لا يوجد أي شيء يمكن أن يهز إيماننا بأنفسنا إذ لم نسمح بذلك. وعلينا، كذلك، أن نواجه كل حالة تعترضنا في حياتنا بكرامة وحب، وأن نعطي الشخص الآخر هذا الحق أيضاً.

إنَّ الحياة ليست لعبة فيها رابح وخاسر، بل كلُّنا رابحون، ولكن عندما ننظر إلى أنفسنا أو إلى الآخرين بوصفنا رابحين أو خاسرين، فإننا نعطي اسمًا وصفة لشيء غير موجود في الواقع، لذا عليك أن تسمح لنفسك بأن تكون رابحًا في الحياة، وأن تسمح للشخص الآخر أن يكون رابحًا أيضًا. وبهذه الطريقة نكون كلُّنا رابحين.

إنَّ كلَّ واحد منا فريد منذ ولادته، والأطفال الصغار يحتاجون إلى حماية والديهم، إلى أن يكبروا ويعتنوا بأنفسهم. ولكن علينا الاعتراف منذ اليوم الذي يولد فيه كلُّ طفل بأن هذا الطفل كائن بشريّ مثلنا تمامًا، ولكنه مخلوق ضعيف، وأنَّ هؤلاء الأطفال ليسوا أطفال تجارب.

الحياة رائعة وجميلة، وقد أرادها الله تعالى أن تكون كذلك، ولكننا نقلل من كمال الحياة بسبب مواقفنا تجاه أنفسنا والآخرين.

إنَّ أجسادنا تتكون من بلايين الخلايا، ومن أجل أن نحافظ على صحة ممتازة يجب أن تعمل كلُّ واحدة من هذه الخلايا في أعلى مستوى لها، وإذا كانت لدينا خلايا مريضة أو ضعيفة، فإن خلايانا السليمة تبذل جهدًا أكبر لمجابهة هذه الحالة السلبية؛ من أجل أن يكون الجسم سليمًا بمجمله.

إنَّ كوكبنا يشبه الجسد، وكلُّ واحد منا عبارة عن إحدى هذه الخلايا، ولهذا فإنَّ مسؤوليتنا تجاه هذا الجسد الذي نسميه الكرة الأرضية هو أن نكون خلايا سليمة وسعيدة، لا تشع سوى الأعمال الخيرة والإيجابية، وبهذه الطريقة فقط نستطيع مواجهة الخلايا المريضة أو الضعيفة. وعلينا أيضًا جعل عالمنا جميلًا وكاملًا من الأوجه كافة، ولا يوجد هناك أيُّ مجال للسلبية أو الأنانية، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا كنا الأفضل، وأعطينا الآخرين الحقَّ في أن يكونوا كذلك أيضًا.

ويجب على كلِّ واحد منَّا أن يجاهد؛ كي يصبح إنسانًا محبًّا لا يصدر أحكامًا مسبقة على الآخرين، وأنَّ للشخص الآخر، مهما اختلف عنا في المظهر والشكل والسلوك والمعتقد، الحقَّ في أن يصبح مثلنا إنسانًا محبًّا، لا يصدر حكمًا على الآخرين، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها لكوكبنا الاستمرار في الوجود.

أتمنى أن أعيش حياة طويلة وسعيدة، وأن أظل أكبر وأتعلم، ولكن إذا متُّ غدًا، فإنَّ هذه هي الرسالة التي أودُّ أن أتركها لكلِّ واحد منكم.

إنني أحب كل واحد منكم، وأتقبله كما هو، ولا أريد أو أتوقع أي شيء منكم، ومن حقكم أن تكونوا سعداء بوصفكم أشخاصاً فريدين. وفي المقابل، سوف أحاول أن أكون الإنسان الأفضل قدر استطاعتي؛ حتى لا تنظروا إليّ أبداً كما لو كنت عبئاً ثقيلاً، أو أن تتحملوا أيّ مسؤولية تجاهي أكثر من مشاركتي حبكم وذاكم إذا ما اخترتم ذلك.

ليس هناك شيء إذا ما فعلتموه يمكن أن يسبب لي خيبة أمل، أو أن يقلل من حبي لكم؛ فحبي لكم غير مشروط، وتأكدوا أنّ هذا لن يتغير أبداً، فكل واحد منا يمشي على مسار خاص به، على الرغم من تداخل حياته مع حياة الآخرين.

كل ما أتمناه وأتوقعه منكم هو أن تمارسوا الحق الذي منحكم الله إياه في أن تكونوا سعداء، وأن تكونوا الأفضل، وأن تعطوا الحق ذاته لكل إنسان آخر دون أيّ تحفظات أو شروط.

أحبكم كثيراً،

الأم والجدة كلوي

إنني على يقين أنك سوف تجد هذا الكتاب مفيداً، ابتداءً من الصفحات الأولى فيه، وصولاً إلى الرسالة الموجودة في الملحق.

منذ مدة طويلة، كتبت لي أمي، وهي من الذين أهديت لهم هذا الكتاب، القصيدة الآتية التي تلخص، بصورة جميلة، الشعور الذي أودّ نقله إليك، وأنت تبدأ في قراءة هذا الكتاب الذي أعتز به.

وين

ليس بيد الأم إلا أن ترشد، وتوجه

ثم تتنحى جانباً،

لقد عرفت أنني لا أستطيع أن أقول:

عليك أن تذهب من هذه الطريق؛

لأنني لا أستطيع أن أرى المسارات

التي قد تأخذك إلى مرتفعات خيالية،

قد لا أعرفها أبداً،

ولكنني مع ذلك أعرف في صميم قلبي دائماً أنك سوف تلمس النجوم...

ولن يدهشني ذلك

هيزل داير

بإمكانك أن تعلم أطفالك لمس النجوم الخاصة بهم إذا ما اتبعت النصيحة المهمة، وهي: وجّه، ثمّ تنحّ جانباً؛ هذه هي رسالة هذا الكتاب، وهذا هو قدرك بوصفك إنساناً يهتم بجميع هذه النجوم الصغيرة ويحبها بصدق.

